

الموقع الرسمي لـ:

الأستاذ الدكتور موسى إسماعيل

مِثْرَاتُ النُّبِيِّ

إعداد:

أ.د. / موسى إسماعيل

مَثَلُ التَّائِبِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن والاه.

أما بعد؛ فإنَّ للتَّوبَةَ ثَمَارًا طَيِّبَةً وَنَتَائِجَ حَمِيدَةً مَبَارَكَةً، يَجْنِيهَا التَّائِبُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، مُصَدِّقَ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيَهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [التَّحْرِيمُ: 8]، فَرَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا بَادَرَ بِالتَّوْبَةِ قَبْلَ الْمَمَاتِ، وَاسْتَعَدَّ لِمَا هُوَ آتٍ وَاعْتَنَمَ الْأَوْقَاتَ وَتَدَارَكَ الْهَفَوَاتِ، وَفِيمَا يَلِي ذِكْرَ لِبَعْضِ ثَمَارِ التَّوْبَةِ:

أَوَّلًا: حُبُّ اللَّهِ لِلتَّائِبِينَ وَفَرَحُهُ بِهِمْ:

مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى بِعِبَادِهِ أَنَّهُ يُحِبُّ مَنْ اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ وَتَابَ مِنْهُ وَاسْتَغْفَرَ، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: 222].

وَيَقْبَلُ مِنْهُمْ تَوْبَتَهُمْ وَيَعْفُو عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَوْ كَانَتْ كَبِيرَةً وَكَثِيرَةً، ﴿قُلْ يٰعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: 53].

وَمِنْ حُبِّهِ لِلتَّائِبِينَ أَنْ فَتَحَ لَهُمُ الْأَبْوَابَ فِي جَمِيعِ آنَاءِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ تَفَضُّلاً عَلَيْهِمْ وَرَحْمَةً بِهِمْ، فَفِي

صحيح مسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيُثَوِّبَ مُسِيءَ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيُثَوِّبَ مُسِيءَ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا».

وإذا تاب منهم تائب فرح سبحانه وتعالى بتوبته، قال تعالى: ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ (90) [هود: 90]، أي أنه سبحانه عظيم الرحمة للتائبين محبّ لهم.

وفي الحديث المتفق عليه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لَلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ مِنْ رَجُلٍ فِي أَرْضٍ دَوِيَّةٍ مَهْلِكَةٍ مَعَهُ رَاحِلَتُهُ، عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَنَامَ فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ، فَطَلَبَهَا حَتَّى أَذْرَكَهُ الْعَطَشُ، ثُمَّ قَالَ: أَرْجِعْ إِلَى مَكَانِي الَّذِي كُنْتُ فِيهِ فَأَنَامُ حَتَّى أَمُوتَ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى سَاعِدِهِ لِيَمُوتَ، فَاسْتَيْقَظَ وَعِنْدَهُ رَاحِلَتُهُ وَعَلَيْهَا زَادُهُ وَطَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَاللَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ مِنْ هَذَا بِرَاحِلَتِهِ وَزَادِهِ».

ثانياً: مغفرة ذنوب التائبين؛

التائب من الذنب مغفور له، كما قال تعالى: ﴿وَلِإِيَّائِنَا تُقْبَلُ تَوْبَتُهُمْ﴾ [طه: 82].

وروى ابن ماجه، والطبراني والبيهقي بسند حسن عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ، كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ».

والتوبة تجب ما قبلها من الذنوب، وإن كثرت
وكانت مثل زبد البحر، كما قال تعالى: ﴿قُلْ
يَعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ
إِلَهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (53)
[الزمر: 53].

وفي الحديث القدسي عند الترمذي بسند حسن
عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ
يقول: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا
دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَىٰ مَا كَانَ فِيكَ وَلَا
أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ
اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ
لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تَشْرِكُ
بِي شَيْئًا لَا أَتَيْتَكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً».

ويشترط في التوبة التي تُغفر بها ذنوب التائب
وتحرق خطاياهُ كُلُّهَا، أن تكون نصوحًا، أي خالصة
لله عز وجل، لا يبتغي بها عرضًا من أعراض الدنيا،
ولا يريد بها ترفلًا إلى مخلوق، كما قال تعالى:
﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ ءَنَ
يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ
يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا
وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (8) [التحريم: 8].

ثالثًا: تبديل سيئات التائبين بالחסنات؛

يبدل الله سيئات المذنبين التائبين حسنات، كما

قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [70] الفرقان.

وقال بعض السلف: «إنَّ العبد إذا تاب من الذنوب، صارت الذنوب الماضية كلها حسنات».

وروى مسلم عن أبي ذرِّ الغفاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنِّي لَا أَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ، وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، رَجُلٌ يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقَالُ: اغْرَضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ، وَارْفَعُوا عَنْهُ كِبَارَهَا، فَتُغْرَضُ عَلَيْهِ صِغَارُ ذُنُوبِهِ، فَيَقَالُ: عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا وَكَذَا، وَعَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا وَكَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِ ذُنُوبِهِ أَنْ تُغْرَضَ عَلَيْهِ، فَيَقَالُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً، فَيَقُولُ: رَبِّ، قَدْ عَمِلْتُ أَشْيَاءَ لَا أَرَاهَا هَا هُنَا، فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ».

رابعاً: استغفار حملة العرش للتائبين:

يستغفر حملة العرش الثمانية للتائبين المخلصين، الذين اتَّبَعُوا دِينَ اللَّهِ وَالتَزَمُوا مِنْهَا جَهَ وَامْتَثَلُوا أَوْامِرَهُ وَاجْتَنَبُوا نَوَاهِيَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر: 7].

خامساً: التوسعة في الرزق والبركة في المال والأهل؛

يُبارك الله تعالى للتائب في نفسه وأهل بيته، ويُعَدُّق عليه من نعمه الظاهرة والباطنة، ويُنزل عليه من الخيرات والأرزاق بلا حساب، لأنَّ التائب حبيب الله، ينال بتوبته وإقباله على طاعة ربّه درجة التقوى، وقد قال الله جلّ في علاه: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ﴾ [الطلاق: 2 - 3].

وقال الله تعالى: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمِيعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ۚ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ۝ (3)﴾ [هود: 3].

وقال عزّ وجلّ على لسان هود عليه السلام: ﴿وَيَقُومِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدَّكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ۝ (52)﴾ [هود: 52].

وقال على لسان نوح عليه السلام: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝ (10) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۝ (11) وَيُمِدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ۝ (12)﴾ [نوح: 10 - 12].



الأستاذ الدكتور موسى إسماعيل



www.prmoussaismail.com